الأسبلة في اليمن خلال حكم الدولة الرسولية (٦٢٦-٨٥٨/ ١٢٢٩-١٤٥٤هـ)

د. مصطفى حسين علي غشيم*

المستخلص:

إن الأسبلة بشتى أنواعها تُعَدُّ مظهراً من مظاهر الحضارة الإسلامية؛ فهي في أمس الحاجة لتسليط الضوء عليها ودراستها للاستفادة منها؛ خاصة أنها قد تكون أملاً للأمة في تنمية خدماتها من خلال اللجوء إلى هذه الأعمال<

ففي هذا المضمار تنافس السلاطين والأمراء والوزراء ورجال الدولة وميسورو الحال وحتى النساء، وقد أنصب اهتمامهم على توفير المياه للمحتاجين من خلال استخراج المياه من باطن الأرض وحفر الآبار وشق القنوات لمياه الينابيع والعيون وتعهدها وإصلاحها وتشييد البرك والأحواض والسواقي، كما قاموا بأعمال خيرية أخرى من باب التطوع والرغبة في كسب الأجر والمثوبة ...إلى غير ذلك من الحسنات والمبرات، وقد كان من مفاخر الأسبلة في اليمن كثرة الموقوفات عليها وتنوع غزارتها وحاصلاتها.

كلمات مفتاحية: الأسبلة . السقايا . في اليمن . خلال حكم الدولة الرسولية

مقدمة

أهمية البحث:

إذا كانت هذه الدراسة هي لتسليط الضوء على تجربة تاريخية لماضٍ ولى وذهب ... فإن الحاجة متجددة ـ في وقتنا الحاضر ـ لوجود مثل هذه المنشآت في المناطق الجديدة من المدن والأسواق والأماكن العامة وبجانب المحلات التجارية لأن الماء في هذه الأماكن اصبح يباع بيعاً ولو أنه توفر مثل هذه الأسبلة في هذه الأماكن لقضيت الحاجة، لذا تكمن أهمية البحث في كونه يكشف عن جانب مهم من جوانب الحضارة الإسلامية التي احدثها الرسوليون في اليمن لأعمال البر والخير.

* أستاذ التاريخ الإسلامي وحضارته المساعد قسم التاريخ والعلاقات الدولية - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة صنعاء.

محاور البحث

شملت الدراسة المحاور التالية:

ـ الأسبلة
ـ السقايا
ـ الآبار
ـ منابع الماء(العيون)
ـ السواقي

الدراسات السابقة:

لم يسبق على حد علم الباحث وجود بحث مستقل يتناول الأسبلة في اليمن خلال حكم الدولة الرسولية، وعلى الرغم من وجود دراسات عدة تنوعت ما بين كتابات وابحاث ورسائل ماجستير واطاريح دكتوراه تناولت العديد من المجالات التاريخية والحضارية في العصر الرسولي، إلا أن بعض هذه الدراسات قد تناولت بشكل عام اسهامات السلاطين والوزراء والعلماء وغيرهم من بقية شرائح المجتمع ببعض أعمال البر العامة، إلا أنه ليس من بينها من تناول الأسبلة الرسولية على هيئة دراسة مستقلة معمقة وشاملة لكافة جوانبها.

فالباحث لا ينكر القيمة العلمية للدراسات السابقة لأنها لا تخلو من ذكر للأعمال الخيرية، وخاصة الأسبلة كتلك التي تقدم بها الباحث نفسه في دراسته المعنونة " بالأعمال الخيرية في عصر الدولة الرسولية" وقد سجل الباحث في بحثه مجمل الأعمال الخيرية ـ في مدة الدراسة ـ وكل من كان له مساهمة في هذا الجانب، وما تم تناوله عن الأسبلة لا يتعدى الإشارة إليها إلا بصورة مقتضبة.

وثمة دراسة حضارية لمختلف جوانب الحياة في العصر الرسولي لكنها لم تفرد للأسبلة دراسة مستقلة من المنظور الحضاري تقدم بها الباحث محمد علي قاسم العروسي" العمارة اليمنية في العصر الإسلامي " بحث منشور في مجلة الإكليل، ولم يجنح الباحث ليتعاطى الأسبلة والسقايا التي تناولتها بعض وثائق الوقفية الغسانية ومصادر التاريخ الإسلامي.

ومنها : دراسة تقدم بها الباحث علي صالح العمري عن القضاة ودورهم في الحياة العامة" كانت مركزة على اثرهم في المجال السياسي والعلمي والاقتصادي، وما ورد فيها من اسهامات للقضاة في الأعمال الخيرية كان عرضاً مقتضباً؛ إما بصورة عرضية وإما ضمن حديث عام عن دورهم في الحياة الاجتماعية.

مدخل أساسي

لقد كان سلاطين بني رسول وأمراؤهم ووزراؤهم ونساؤهم وكذلك ميسورو الحال من عامة الناس ينشئون تلك الأسبلة والسقايا تقرباً إلى الله تعالى وأملاً في الثواب، وذلك بتوفير ماء الشرب للمارة في الطرقات وجنباتها وضمن ملحقات المساجد والمدارس حتى لا يتعرض الناس للعطش أثناء مزاولة مهامهم وانشطتهم وأعمالهم المختلفة، وقد كان توفير المياه عن طريق هذه الأسبلة للمارة وعابري السبيل والفقراء والمحتاجين له .

وقد تركزت تلك الأسبلة في المدن الآهلة بالسكان وفي القرى وعلى جنبات الطرق وعلى أماكن العبادة وهذا ما سيلاحظه القارئ في صفحات هذا البحث المتواضع، فيمكن تناولها كالتالي :-

الأسبلة:

تُعرف الأسبلة بأنها منشآت خيرية ـ عامة ـ بعضها خصص لتوفير مياه الشرب وبعضها الأخر احواض لسقي الدواب وسواقي مسبلة ومدافن ومخازن للكتب وغير ذلك مما ورد في وثائق الوقف(١) غير ان ما يعنينا من هذه المنشآت الخيرية في هذا المقام هي اسبلة الماء وهي عبارة عن ابنية صغيرة مخصصة لخزن مياه الشرب؛ أقيمت لتزويد المارة من المسافرين والمعدمين بمياه الشرب(٢)، وعلى الرغم من أن الحصول على الماء كان من المهام الشاقة التي شغلت الناس وأخذت جل اهتمامهم، فإن توفير الماء وتسبيله والحصول عليه من أكبر وجوه البر والطاعة التي يتقرب بها المسلم إلى الله أملاً في ثواب الآخرة(٣).

ومن أجل خدمة المجتمع عمل الكثير من المحسنين على إقامة العديد من الأسبلة، وألحقت بالمساجد والمدارس في بداية الأمر، ثم تطورت مع الزمن

---

(١) الحداد : محمد حمزة إسماعيل (الدكتور) : الاسبلة في العمارة الإسلامية بمكة المكرمة والمدينة المنورة، ط١ ٢٠٠٤م، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، ص٧ ، ٨.

(٢) الخطيب : مصطفى عبدالكريم : معجم المصطلحات والألقاب التاريخية ، ط١ ١٩٩٦م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ص ٢٣٨ . الفران : علي بن محمد بن علي : أثر الوقف والمبرات في التكافل الاجتماعي، مؤسسة السعيد للعلوم والثقافة ، تعز ٢٠٠٩م ، ص ٩٨ .

(٣) الوقفية الغسانية الرسولية في اليمن : مصورة عن نسخة الأوقاف في تعز لدى الأستاذ الدكتور/ محمد أحمد الكامل : وقفية المدرسة الأشرفية ، ق١ ؛ وقفية المدرسة الظاهرية، ق٢٢؛ وقفية المدرسة المعتبية ، ق٤٤ ؛ وقفية المدرسة الجوهرية ، ق٥٨؛ وقفية المدرسة المؤيدية ، ق٦٩. الفران : أثر الوقف والمبرات في التكافل ، ص ١٢٣ .

لتصبح الأسبلة منتشرة في الطرق العامة والمدن والقرى ومرافقها(١)، ولم يقتصر الأمر عند الاهتمام بتوفير مياه الشرب للناس، بل تعداه إلى المواشي والحيوانات(٢)، فبنيت أحواض(٣) لهذا الغرض وغيرها من الانتفاعات المعتادة وجعلت في سبيل الله(٤).

وقد لقيت مباني الأسبلة في اليمن خلال حكم الدولة الرسولية اهتماماً كبيراً من قبل سلاطين بني رسول ورجالات دولتهم ونسائهم، نظراً لما ترتبط به من فعل البر والخير للناس .

فمن هذه الأسبلة التي عادت بالفائدة على كثير من الناس، تلك التي شيدها الأمير أبو الدر ابن عبدالله الرضواني(ت ٧٥٥هـ/١٣٥٣م)، إذ ابتنى أسبلة في طريق القرتب من زبيد(٥).

وزاد بعض الأميرات ممن أتصفن بالزهد والصلاح ــ وهن كثيرات ــ أن أقمن الأسبلة في مختلف طرقات المدينة ومرافقها(٦)، فمن أبرز من ساهم بهذا الجانب الآدر الكريمة جهة الطواشي شهاب الدين صلاح(ت ٧٦٢هـ/١٣٦٠م) والدة السلطان المجاهد؛ إذ بنت في زبيد سبيلاً خصص لشرب الدواب(٧)، كما ساهمت الأميرة جهة فاتن المسماة ماء السماء ابنة السلطان المؤيد(ت ٧٦٨هـ/١٣٦٦م) في بناء مثل تلك المبرات منها السبيل الذي بنته بجوار المدرسة الفاتنية في زبيد، وكان يعرف بالسبيل الفاتني(٨)، وسبيل آخر إلى جانب مسجد الربدة في طريق النخل بوادي زبيد(٩)، وربما أن الأوقاف التي

---

(١)الخطيب : معجم المصطلحات التاريخية ، ص ٢٣٨ .

(٢)الخزرجي : علي بن الحسن (ت ٨١٢هـ/١٤٠٩م):العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، تصحيح/ محمد بن علي الأكوع،ج٢، ط٢ ١٩٨٣م ، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء ، ص ١١٩ .

(٣)أماكن تبنى كأحواض للمياه، وهي مخصصة لشرب المواشي والحيوانات.(الفران : مآثر الوقف ، ص ٩٨).

(٤)الفران : أثر الوقف والمبرات ، ص ١٢٤ .

(٥)بامخرمة : محمد عبدالله الطيب بن عبدالله بن أحمد (ت ٩٤٧هـ/١٥٤٠م): قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، تحقيق/ محمد يسلم عبدالنور، ج٣، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء ٢٠٠٤م، ص ٣٤٤٣ .

(٦)المجاهد: محمد محمد : مدينة تعز غصن نضير في دوحة التاريخ العربي، ط١ ١٩٩٧م ، المعمل الفني ، تعز، ص ٢٧ .

(٧)الخزرجي : العقود ، ج٢ ، ص ١١٩ .

(٨)ابن الديبع : الفضل المزيد ، ص ٩٩. العروسي : محمد علي قاسم (الدكتور): مدارس الأميرات الرسوليات في اليمن (ق ٧ ــ ٩هـ)، " بحث منشور في حوليات العفيف الثقافية "، العدد (٥)، مؤسسة العفيف الثقافية ، صنعاء ٢٠٠٥م ، ص ٦٣ .

(٩)ابن الديبع : بغية المستفيد، ص ٩٥.

أوقفتها الأميرة على المدرسة والمسجد اللذين شيدتهما آنذاك قد شملت هذين السبيلين.

كما قامت جهة الطواشي الآجل جمال الدين متعب بن عبدالله الأشرفي(ت ٧٩٦هـ/١٣٩٣م) ببناء عددٍ من الأسبلة، وفي هذا يقول الخزرجي(١): " ولها عدة سبل في مقاطع الطرق يردها السارح والرائح ".

وقد كان لبعض سلاطين بني رسول مساهمة فعالة في هذا الجانب، فكان أكثرهم تشييداً للأسبلة السلطان الأشرف الثاني إسماعيل بن العباس(ت ٨٠٣هـ/١٤٠٠م)، إذ أحدث سبيلاً أمام الجامع الكبير بزبيد(٢)، كما أنشأ فيما بين قرية السلامة(٣) وحيس(٤) ثلاثة اسبلة(٥)، وأمر بتجديد العديد من الأسبلة الملحقة بالمساجد والمدارس(٦)، ونالت أسبلة مدينة زبيد الحظ الأكبر من ذلك التجديد(٧).

وكان لعددٍ من الفقهاء الرسوليين مساهمة عظيمة في إنشاء الأسبلة نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر الشيخ علي بن عبدالرحمن الذي عمر سبيلاً في قطابه(٨) كان يصله الماء عبر ساقية انشأها لهذا الغرض(٩).

---

(١): العقود : ج٢ ، ص ٢٥٣ .

(٢)الخزرجي: العقود ، ج٢ ، ص ٢١٤. ابن الديبع: عبدالرحمن بن علي بن محمد بن عمر(ت ٩٤٤هـ/١٥٣٧م): بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، تحقيق/ عبدالله محمد الحبشي، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء ١٩٧٩م ، ص ٩٩ .

(٣) قرية خاربه شرقي مدينة زبيد عمرت أيام علي بن أبي بكر الزيلعي المتوفي عام ٧٢٠ هـ/١٣٢٠م وكان قد سكنها بعض أمراء بني رسول(الشرجي : أبو العباس أحمد بن عبداللطيف الزبيدي(ت ٨٩٣هـ/١٤٨٧م): طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص ، ط١ ١٩٨٦م ، الدار اليمنية للنشر، صنعاء، ص٢٠٥ . المقحفي : إبراهيم معجم البلدان والقبائل اليمنية ، ج٢، ط٥ ٢٠١١م ، مكتبة الجيل الجديد ، ص٩٨٢).

(٤) بلدة وكورة من نواحي زبيد باليمن بينها وبين زبيد تقريباً (٣٥كيلو متراً)، للمجد. وهو كورة واسعة وهي للركب من الأشاعر.(الحجري: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، ج٢، تح/ إسماعيل بن علي الأكوع ، ط٣ ٢٠٠٤م، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، ص ٣٠١) .

(٥)الخزرجي : العقود ، ج٢ ، ص ٣١٨ .

(٦)المصدر نفسه والجزء، ص٢١٤. ابن الديبع: بغية المستفيد، ص ٩٩ ، ١٠٠. الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد، تح/ يوسف شلحد، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء ١٩٨٣م ، ص ١٠٣.

(٧)الخزرجي : العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر اليمن، تحقيق/ علي مطهر العلماني، " رسالة ماجستير " ، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي ، بغداد ٢٠٠٢م ، ص ١٨٨ .

(٨) بلدة على ساحل البحر الأحمر تقع إلى الغرب من مدينة حيس(المقحفي : معجم البلدان والقبائل ، ج٢،ص١٤٨٥).

(٩) الوقفية الغسانية ، ق١٤٢ .

وكذلك الحال بالنسبة للوزراء فقد كان لهم يدٍ في المبرات الخيرية الدائمة لاسيما الأسبلة، فمن أشهر الوزراء الذين شاركوا في بناء مثل تلك المبرات الخيرية الوزير أبو الفرج الملقب شهاب الدين(ت ٨٢٤هـ/١٤٢٠م) فقد بنى سبلاً في مدينتي حيس وزبيد في عهد الدولة الاشرفية(١).

وإلى جانب ذلك فقد زودتنا الوقفية الغسانية بأسماء عددٍ من الأسبلة الرسولية مع إغفال أسماء منشؤها وأماكنها وتاريخ البناء منها : سبيل الحريف(٢)، وسبيل بمسجد النقيلة وسبيل مسجد الكثب(٣)، وسبيل عقمة، والسبيل لحول العرس(٤).

وقد ورد في الوقفية الغسانية ذكر لبعض مشارب الماء ربما كان لها ارتباط بالأسبلة منها : المشرب المنصب فيه الماء من قرية الحدادي(٥)، ومشرب ذي صالح(٦)، ومشرب المعتبية ومشرب آخر ذكر بجانبه(٧).

ومما يؤسف له أن الأسبلة المذكورة قد أخذ القائمون على الطرقات أو نخر فيها الزمن في محوها وازالتها لعدم ادراكهم بطبيعة مهامها في خدمة الناس فاندثرت فلم تعد بنيانها قائمة ومواقعها غير معروفة في وقتنا الحاضر.

السقايا:

جمع سقاية وهي عبارة عن مبانٍ مسقوفة أو حفرٍ على الأرض لجمع مياه الأمطار أو مياه الآبار واستخدامها للشرب[٨]، هي الأخرى لاقت عناية واهتماماً من قبل السلاطين والأمراء والنساء وغيرهم من الموسرين وكثيراً ما ألحقت بالمساجد والمدارس[٩]، وقد انتفع بها الناس انتفاعاً عاماً، حيث احدث أبو العباس أحمد النزاري(ت ٦٤٦هـ/١٢٤٩م) في طريق تعز سقايتين وقد طالهن الخراب(١٠).

(١)الخزرجي : العقد الفاخر، ص ١٢٦ .
(٢) الوقفية الغسانية : وقفية المدرسة الأشرفية ، ق١١.
(٣): وقفية المدرسة المعتبية ، ق٤٩ .
(٤) الوقفية الغسانية : ق١٣٧.
(٥) وقفية جامع ثعبات ، ق٨٥. وقرية الحدادي: لم أجد لها تعريف في المصادر المتاحة.
(٦): وقفيه المدرسة الظاهرية، ق٣٧.
(٧): وقفية المدرسة المعتبية ، ق٤٨.
(٨)الفران : أثر الوقف ، ص ٩٨ .
(٩)الوقفية الغسانية : وثيقة المدرسة الأشرفية ، ق ٤ ، ق ١٤ ، ق ١٧. الخزرجي : العقد الفاخر، ص ١٢٦. ابن أسير: محمد بن محمد بن منصور (ت بعد ٩٥٠هـ/١٥٤٣م): الجوهر الفريد في تاريخ مدينة زبيد، مخطوط مصور لدى الدكتور/ محمد الكامل، ق ٢٢١ ، ٢٢٢ .
(١٠) المصدر نفسه ، ص١٤٦.

ولعل أشهرهن سقاية العجوز والسقاية بالنجد الوارد ذكرهما في وثيقة المدرسة المؤيدية الواقعة في مغربة تعز(١)، وسقاية جامع ثعبات في تعز(٢)، وسقاية المدرسة الجوهرية الواقعة في مغربة تعز(٣)، وسقاية المدرسة الأفضلية بتعز(٤)، وسقاية المدرسة المعتبية في تعز(٥)، وسقاية الخضر في مدينة زبيد، وقد حفرت في عهد الملك الأشرف الثاني(ت ٨٠٣هـ/١٤٠٠م)(٦)، وسقاية شيدها الوزير أبو الفرج إلى جانب المسجد في المحاريب بتعز (٧)، وسقاية المدرسة الياقوتية بذي السفال(٨).

ولا نغفل هنا عن الإشارة إلى السقاية التي كانت بيد الأمير صواب ابن وصي(٩)، وسقاية كانت مخصصة للتكايا(الخانقاوات)(١٠).

وقد خصص من ريع الوقف الخاص بالمساجد والمدارس على هذه السقايا، حيث كان يصرف من غلة الأرض الموقوفة على المدرسة المعتبية على سقايا المدرسة كل شهر ثلاثة دنانير ونصف دينار وزيادة سقا في شهر رمضان المعظم عشرة دنانير سقا(١١)، وخصص من ريع الوقف الخاص بالمدرسة الجوهرية على السقا الخاص بالمدرسة وكان يصرف أيضاً في شهر رمضان ما يزاد في سقا المدرسة(١٢).

ولا يقتصر نشاط الأسبلة على تشييد مبانٍ لخزن مياه الشرب فحسب، بل شمل جميع المجالات الخيرية التي يحتاجها الإنسان، فقد أقيمت الأحواض والبرك(١٣) وحفرت الآبار.

---

(١) : ق٧٢ . ق٨٧.
(٢): وثيقة جامع ثعبات الأشرفية، ق٩٠.
(٣) وثيقة المدرسة الجوهرية ، ق٦٤.
(٤) وثيقة المدرسة الأفضلية ، ق٩٧ ـ ٩٨.
(٥) وثيقة المدرسة المعتبية ، ق٥٥ .
(٦)محمد زكريا : مساجد اليمن نشأتها تطورها خصائصها، ط١ ١٩٩٨م، رسوم/ محمد الشميري، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، الجمهورية اليمنية، ص ٣٨ .
(٧) الخزرجي : العقد الفاخر، ص ١٢٦ .
(٨) وثيقة المدرسة الياقوتية، ق١٦٦ .
(٩) الوقفية الغسانية : ق١٢٢ .
(١٠) المصدر نفسه : ق١٧١. والتكايا مفردها تكية : وهي رباط الصوفية "(ابن الأثير : أبوالحسن علي بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني(ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م): اللباب في تهذيب الأنساب ، ج١، دار صادر، بيروت ١٩٨٠م ، ص ٤١٥. الباشا: حسن(الدكتور): موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية ، مجلد١، ط١ ١٩٩٩م ، أوراق شرقية، بيروت ، ص ٢٠٧).
(١١) وثيقة المدرسة المعتبية ، ق٥٥
(١٢) وثيقة المدرسة الجوهرية ، ق٦٤.
(١٣) أحواض كبيرة جامعة للماء المسبل إليها لوضوء المتوضئين وغسل المغتسلين. (الوقفية الغسانية: وثيقة المدرسة الأشرفية ، ق٤) .

إذ احدث أبو العباس أحمد النزاري(ت ٦٤٦هـ/١٢٤٩م) في طريق تعز بئراً وحوضاً، وقد طال الخراب الجميع(١)، أما الأمير ميكائيل بن أبي بكر بن محمد الموصلي(ت بعد ٦٤٧هـ/١٢٤٩م)، فقد كان من أخيار الغز وأعيانهم، ولي الجند منذ آخر عهد المسعود الأيوبي(ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م) حتى أواخر دولة المظفر يوسف بن عمر، وكان ميكائيل هذا يغلب عليه فعل الخير، وله إلى جانب مسجده في نقيل سودة(٢)حوض يجري إليه الماء يشرب منه الناس والحيوانات(٣)، وللأمير عبدالله بن العباس الحجاجي (ت بعد عام ٦٧٠هـ/ ١٢٧١م) سبيل حوض في عدن(٤).

ومن الأحواض التي شيدت في مدة الدراسة تلك التي أمر السلطان المجاهد علي بن داود(ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م) بنصبها في أثناء ذهابه إلى مكة لأداء فريضة الحج، وقد ملئت ماء وسبلها للناس؛ فشرب منها الصغير والكبير(٥)، ومنها ـ أيضاً ـ الحوض الأشرفي الذي بناه السلطان الأشرف الثاني(ت ٨٠٣هـ/١٤٠٠م) في الجهة الشمالية الشرقية من تعز(٦).

إلى جانب ذلك عُمرت أحواضٌ مرفقة بالمدارس خاصة بالاستنجاء ورفع الحدث وإزالة النجس كحوض المدرسة المؤيدية(٧) وأخرى للاغتسال كحوض المدرسة الجوهرية(٨)، وحوض المدرسة الأفضلية(٩) وقد اسبلت جميعها. ومن الوقف كان يتم عمارة أو إصلاح الأحواض وتنظيفها وكل ذلك كان تحت إشراف الناظر(١٠).

---

(١) الخزرجي : العقد الفاخر ، ص١٤٦.

(٢)بالفتح وسكون الواو وفتح الدال المهملة وآخرها هاء تأنيث قرية من نواحي الجند. (الحجري: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، ج٣،ص ٤٣٤).

(٣)الجندي : أبوعبدالله بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب السكسكي الكندي (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م): السلوك في طبقات العلماء والملوك ، تحقيق/ محمد بن علي بن الحسين الأكوع الحوالي، ج٢ ، ط٢ ١٩٩٥م ، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ص ٧١ ، ٧٢ .

(٤) الجندي : السلوك ، ج٢، ص٦٢ .

(٥)الخزرجي : العقود ، ج٢ ، ص ٧٠ .

(٦)المصدر نفسه، العقد الفاخر، ص ١٨٨. بامخرمة : قلادة النحر، ج٣ ، ص ٣٠١٨ . وما زال إلى الآن يعرف مكانه بحوض الأشرف .

(٧) وثيقة المدرسة المؤيدية ، ق٧١

(٨)وثيقة المدرسة الجوهرية ، ق٥٩.

(٩) وثيقة المدرسة الأفضلية ،ق٩٨.

(١٠) الوقفية الغسانية : ق١٢٠. الناظر : موظف مهمته الإشراف على الأوقاف وقبض غلاتها وصرفها ..... وكان يشترط أن يكون أميناً مستقيماً وصالحاً لأداء الوظيفة(العراشي : عبدالحكيم محمد ثابت: التجربة التاريخية لنظام الوقفية في اليمن في عصر الدولة الرسولية (٦٢٦ ـ ٨٥٨هـ/١٢٢٨ ـ ١٤٥٤م) من وحي الوقفية الغسانية، بحث في منشور في مجلة الدراسات الاجتماعية ،المجلد ٢٠، العدد(٤١) ٣٠ سبتمبر/ أيلول، جامعة العلوم والتكنلوجيا، صنعاء، ص٥٩).

أما عن البرك فقد أشارت إليها المصادر التي بين أيدينا بكثرة وسنكتفي بإيراد نماذج منها: بركة الأقمر بالقرب من ثعبات بناها السلطان المنصور نور الدين عمر بن رسول(ت ٦٤٧هـ/١٢٤٩م)[١]، وبركة المدرسة المؤيدية[٢]، وبركة جامع ثعبات[٣] وبركة المدرسة الجوهرية[٤]، وبركة المدرسة الأفضلية[٥]، وبركة مدرسة المحاريب بناها الوزير تقي الدين عمر بن أبي القاسم معيبد الأفضلي(ت ٧٨٧هـ/١٣٨٦م)[٦]، وأخرى بجوار مسجده الذي شيده في تعز[٧]، وبركة المدرسة المعتبية[٨]، وبركة المدرسة الأشرفية[٩]، وبركة المدرسة الظاهرية الجامعة للماء المسبل[١٠]. وبركة مسجد الأشاعر الذي أنشأتها الحرة أم الملوك جهة الطواشي جمال الدين فرحان(ت ٨٣٦هـ/١٤٣٢م) عام (٨١٥هـ/١٤١٢م)[١١].

والملاحظ أنه ما من بركة مسبلة إلا وعين لها من يتولى فتح البركة عند تغيير مائها وغسلها وإزالة الأتربة والطحلب المجتمع فيها[١٢].

ـ الآبار

إلى جانب ذلك اسبلت الآبار والتي تم حفرها لخدمة المزارعين وفي الوقت نفسه تقدم خدماتها للمجتمع عامة؛ فمن خلالها كان يتم تزويد البرك الملحقة بالمساجد والمدارس والأسبلة والسقايا بالماء، وقد كان لسلاطين بني رسول في هذا الجانب مساهمة فعالة، ففي هذا يقول بعض الباحثين[١٣]: " ولا

(١) سميث ركس : معلومات عن تاريخ ثعبات وكتاباتها ومسكوكاتها؛ ترجمة/ نهى صادق، " بحث منشور في كتاب دراسات في تاريخ اليمن الإسلامي " ، المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية ، صنعاء ٢٠٠٢م ، ص ٨٤ .
(٢) وثيقة المدرسة المؤيدية ، ق٧١.
(٣) وثيقة جامع ثعبات،ق٩٠.
(٤) وثيقة المدرسة الجوهرية، ق٥٩.
(٥) وثيقة المدرسة الأفضلية، ق٩٧.
(٦) بامخرمة : قلادة النحر، ج٣ ، ص ٣٤٨٦ .
(٧) المصدر نفسه والجزء ، ص ٣٤٩٦ .
(٨) وثيقة المدرسة المعتبية ، ق٥٦.
(٩) الوقفية الغسانية : وثيقة المدرسة الأشرفية ، ق ٤ .
(١٠) وثيقة المدرسة الظاهرية ق٢٤.
(١١)ابن الديبع : بغية المستفيد ، ص ١٠٥. الفضل المزيد ، ص ١٠٨. بامخرمة : قلادة النحر، ج٣، ص ٣٥٤٦. الفقيه : صالح أحمد : مساجد مدينة زبيد حتى نهاية العصر الأيوبي ، " رسالة ماجستير غير منشوره " قسم الآثار ، كلية الآداب ، جامعة صنعاء ، صنعاء ٢٠١١م ، ص ٣١ .
(١٢) وثيقة المدرسة المؤيدية ، ق٧٧.
(١٣) بعكر طيب : عبد الرحمن الحضرمي : نظرات في التاريخ العام لليمن، ط١ ٢٠٠٢م، مركز عباد للدراسات؛ عالم الكتب اليمنية للطباعة والنشر، صنعاء، ص ١٨٧. لقمان: حمزة علي: معارك حاسمة من تاريخ اليمن، ط١ ١٩٧٨م، مركز الدراسات اليمنية، صنعاء، ص ١٧٢ .

تكاد تخلو مدينة تهامية من مبرة من مبرات المنصور نورالدين عمر الرسولي (ت ٦٤٧هـ/١٢٤٩م) كمسجد أو بئر مسبلة "، وللمنصور ـ أيضاً ـ بئر في جهة التنعيم بأسفل مكة تعرف بالزاكية[١]، وكانت زوجته بنت جوزة مساهمة في هذا الجانب[٢]، فخلال تشييدها لمسجد الهليلجة بالتنعيم القريبة من مكة عام (٦٤٤هـ/١٢٤٦م) أنشأت بئراً للماء على مقربة من المسجد المذكور[٣].

وأحدث أبو العباس أحمد النزاري (ت ٦٤٦هـ/١٢٤٩م) في طريق تعز بئراً وحوضاً وسقايتين، وقد طال الخراب الجميع[٤]، كما أحدث أبو محمد عبدالله بن العباس الحجاجي في عدن سبيل بئر وحوض[٥].

وربما يكون السلطان المظفر الرسولي(ت ٦٩٤هـ/١٢٩٥م) أكثر سلاطين بني رسول اهتماماً بهذا الجانب، وما يؤكد ذلك قول الوصابي[٦]: "وله في المفاوز البعيدة مآثر حسنة من الآبار والطرقات ".

وحفر الآبار لم يكن قاصراً على سلاطين بني رسول ونسائهم، وإنما ساهم في هذا العمل الخيري عددً من التواقين إلى الخير؛ فهذا القاضي وجيه الدين العلوي(ت ٨٠٦هـ/١٤٠٣م) عندما أنشأ مدرسته بزبيد اشترى أرضاً بجوارها وحفر فيها بئراً للماء[٧].

منابع الماء (العيون):

لم يقتصر الأمر على بناء الأسبلة والسقايا وحفر الآبار بل تعداه إلى إسبال العيون ومنابع الماء وهذا ما فعله جمال الدين محمد بن الفقيه صارم الدين إبراهيم المصري، إذ أسبل ما هو في أملاكه من منابع الماء العذب الموجود في الأرض الخاصة والموقوفة به في وادي الموافي وجميع طرقه وممراته إلى جوار الطريق المسلوكة لينتفع به المسلمون بالشرب والطهارة

(١) الفاسي: تقي الدين محمد بن أحمد المكي (ت ٨٣٢هـ/١٤٢٩م): العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق/ فؤاد سيد، ج١ ، ط٢ ١٩٨٥م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ص ١٢٦ .

(٢) المصدر نفسه ، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ج١، دار إحياء الكتب العربية، (د . م) ١٩٥٦م، ص٢٦٧ ، ٢٦٨ .

(٣) ابن فهد : النجم عمر بن محمد بن محمد (ت ٨٥٥هـ/١٤٥١م): إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق/ فهيم محمد شلتوت ، ج٣ ، مطابع جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية ،(د . ت)، ص ٦٤ .

(٤) الخزرجي : العقد الفاخر، ص ١٤٦ .

(٥) الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص ٦٢ .

(٦) الوصابي: عبدالرحمن بن محمد الحبيشي (ت ٧٨٢هـ/١٣٨٠م): تاريخ وصاب المسمى " الاعتبار في التواريخ والآثار"، تحقيق/ عبدالله محمد الحبشي، ط١ ١٩٧٨م، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ص ١٥٠ .

(٧)بامخرمة : ثغرعدن ، ج٢، ص ١٢٣ .

والغسل وسقي البهائم وغير ذلك من الانتفاعات، وما فضل بعد ذلك جعله لسقي ما وصل إليه من الأرض الموقوفة([1])، ومثله فعل الشيخ الآجل علي بن عبدالرحمن، بحيث أخرج عيون الماء في سائلة الخسف في المكان المباح وذلك تحت الماء المشهور بماء جوهر، وصرف في إخراجها جملة من المال، فأسبل ذلك واجرى ماءها مجتمعاً في ساقية ثم أجرى ذلك في سقاية المدرسة الطائية بمعزبة مدينة تعز، وما فاض من ماء على المدرسة المذكورة يسقى منه البستان الذي أرضه وقراره وقف على المدرسة([2]).

السواقي:

مفردها ساقية وهي عبارة عن قناة يتم شقها وعمارتها في الأرض لإيصال الماء عبرها من العيون إلى السقايا والبرك والأحواض، وكانت عمارة السواقي من بناء بأحجار وآجر ونوره وتسقيف([3])، فمن هذه السواقي الساقية الموصلة للماء إلى المسجد الذي يقع بجوار المدرسة المؤيدية([4])، وسواقي جامع ثعبات([5])، وساقية المدرسة الجوهرية([6])، وساقية المدرسة الأفضلية([7])، وساقية المدرسة المعتبية([8])، وساقية المدرسة الأشرفية([9])، وسواقي ومساقي الدار القائمة بسهفنة وما يغرف لها من الماء الصافي ومنابعه الدائمة([10])، وسواق أخرى مسبلة ورد اسماؤها في الوقفية الغسانية كساقية الحريف([11])، وسواقي أكمة علا([12])، وساقية الكثب والبراق([13])، وساقية قرية الحليف والساقية النازلة في عين الزراطة([14])، وساقية ذي اسود([15])، وساقية ماء

(١) الوقفية الغسانية : ق١١٩.
(٢) المصدر نفسه : ق١٣٩ .
(٣) المصدر نفسه : ق١٢٠.
(٤): وثيقة المدرسة المؤيدية ، ق٧٥
(٥): وثيقة جامع ثعبات، ق٩٠
(٦) :وثيقة المدرسة الجوهرية، ق٥٩ .
(٧): وثيقة المدرسة الأفضلية ، ق١٠٥ ، ١٠٦.
(٨) : وثيقة المدرسة المعتبية ، ق٤٦ .
(٩): وثيقة المدرسة الأشرفية، ق١٤.
(١٠) وثيقة المدرسة الأفضلية، ق١٠٠.
(١١)وثيقة المدرسة الأشرفية ، ق١١.
(١٢)المصدر نفسه والصفحة.
(١٣) وثيقة المدرسة الظاهرية ، ق٣٠ ، ٣١.
(١٤) المصدر نفسه : ق٣٣
(١٥) وثيقة جامع ثعبات ، ق٨٨.

الحصب([1]). وما من ساقية إلا ولها موظف يسمى قيم الساقية([2])، وقد كان من من مهامه النظر في أمر الساقية، ومباشرة عمله في كل وقت وحين إجراء الماء وإزالة ما يمنعه عن الجريان واصلاح ما أمكن اصلاحه بيده([3])، ومقابل ذلك كان يتقاضى راتباً شهرياً يقدر بعشرة دنانير([4])، واحياناً كان يرزق من ريع الأراضي الموقوفة وغللها فيصرف له من أنواع الحبوب المقتاتة عشرة أزبد([5]) كل شهر([6]).

مما سبق يتضح أنه من الوقف كان يتم الإنفاق على عمارة السواقي من بناء بأحجار وآجر ونوره وتسقيف وتنظيف من الأوساخ وإصلاح ما فضل إليه الماء من أحواض وبرك وعمارة ذلك جميعه دائماً وابداً بيد الناظر.

(١) الوقفية الغسانية : ق١٢٢.

(٢) قيم الساقية : هذه وظيفة ظهرت في بعض المدارس الرسولية من مهام صاحبها النظر في أمر الساقية ومباشرة عمله كل وقت إجرى الماء وإزالة ما يمنعه عن الجريان واصلاح ما أمكن اصلاحه .(أنظر : وثيقة المدرسة الأفضلية،ق١٠٣ . وثيقة المدرسة الأشرفية ، ق١٤).

(٣)وثيقة المدرسة المؤيدية ، ق٧٧ . وثيقة المدرسة الأفضلية،ق١٠٣ . وثيقة المدرسة الأشرفية ، ق١٤

(٤)وثيقة المدرسة المؤيدية، ق٧٥ .

(٥) مفردها زبدي : وهي نوع من أنواع المكاييل المستعملة في الدولة الرسولية (للمزيد أنظر: مؤلف مؤلف مجهول: نور المعارف في نظم وقوانين العصر المظفري الوارف، تحقيق/ محمد عبدالرحيم جازم ج١، المركز الفرنسي للدراسات الاجتماعية والآثار، صنعاء ٢٠٠٨م ص٣٤٠).

(٦) وثيقة المدرسة الأفضلية ، ق١٠٥ . وثيقة المدرسة الأشرفية ، ق١٦ .

النتائج

أما النتائج فنوجزها بالتالي :

ـ تتجلى أهمية الأسبلة في كونها من الأعمال التي يتقرب بها المسلم إلى الله عز وجل .

ـ الأسبلة كانت تقوم مقام مرافق المياه حالياً في المدن وبدرجة أقل في القرى وغالباً ما كانت تلحق بالمساجد والمدارس والطرقات.

ـ انشئت الأحواض كمنشآت خيرية لخدمة الدواب على الطرقات الأمر الذي يمكن اعتباره مفخرة من مفاخر حضارتنا الإسلامية.

ـ حفرت الآبار في الطرق البرية التي تربط بين المدن على امتداد الدولة الرسولية لسقاية المرتحلين.

ـ تنظيف الأسبلة والسقايا والسواقي المسبلة من الطحالب والاوساخ كانت من مهام القيم أو المكلف من قبل الناظر وقد كان يتقاضى مقابل ذلك راتباً شهرياً، وأحياناً كان يرزق من ريع الأراضي الموقوفة وغللها فيصرف له من أنواع الحبوب المقتاتة.

ـ اسهم نظام الوقف في إنشاء الأسبلة وعمارة السواقي من بناء بأحجار وآجر ونوره وتسقيف وتنظيف من الأوساخ وإصلاح ما فضل إليه الماء من أحواض وبرك.

التوصيات

ـ يجب إعادة النظر في طريقة تسبيل المياه في وقتنا الحاضر حيث أن الوضع القائم غير صحي، فالجميع يشربون من إناءٍ واحدٍ وهذا قد يكون سبباً لانتقال الأمراض ونشر العدوى وخاصة إذا كان هنالك مرض معدي أو وباء متفشي كما هو حال الأمة في وقتنا الحاضر مع وباء كورونا.

ـ يجب على وزارة الصحة أن تقوم بدورها في الإشراف على الأسبلة المنتشرة في الطرقات وجنباتها لضمان السلامة العامة.

ـ يجب أن يخصص جزء من أموال الصدقات الجارية بالاتفاق مع وزارة الأوقاف للإنفاق عليها وصيانتها.

مصادر البحث ومراجعه

أولاً: المصادر الأصلية:

أ ـ المخطوطات

ـ ابن أسير: محمد بن محمد بن منصور (ت بعد ٩٥٠هـ/١٥٤٣م): الجوهر الفريد في تاريخ مدينة زبيد، مخطوط مصور لدى الدكتور/ محمد الكامل.

ـ الوقفية الغسانية الرسولية في اليمن : مصورة عن نسخة الأوقاف في تعز لدى الأستاذ الدكتور/ محمد أحمد الكامل، وثيقة المدرسة الأشرفية.

ب ـ المطبوعة

ـ ابن الأثير : أبوالحسن علي بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني(ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م): اللباب في تهذيب الأنساب ، ج١ ، دار صادر، بيروت ١٩٨٠م .

ـ بامخرمة : محمد عبدالله الطيب بن عبدالله بن أحمد (ت ٩٤٧هـ/١٥٤٠م): قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، تحقيق/ محمد يسلم عبدالنور، ج٣، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء ٢٠٠٤م.

ـ الجندي : أبوعبدالله بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب السكسكي الكندي (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م): السلوك في طبقات العلماء والملوك ، تحقيق/ محمد بن علي بن الحسين الأكوع الحوالي، ج٢ ، ط٢ ١٩٩٥م ، مكتبة الإرشاد، صنعاء.

ـ الخزرجي : علي بن الحسن (ت ٨١٢هـ/١٤٠٩م): العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر اليمن، تحقيق/ علي مطهر العلماني، " رسالة ماجستير " ، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي ، بغداد ٢٠٠٢م .

العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، تصحيح/ محمد بن علي الأكوع،ج٢، ط٢ ١٩٨٣م ، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء.

ـ ابن الديبع: عبدالرحمن بن علي بن محمد بن عمر(ت ٩٤٤هـ/١٥٣٧م): بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، تحقيق/ عبدالله محمد الحبشي، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء ١٩٧٩م.

الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد، تح/ يوسف شلحد، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء ١٩٨٣م.

ـ الشرجي : أبو العباس أحمد بن عبداللطيف الزبيدي(ت ٨٩٣هـ/١٤٨٧م): طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص ، ط١ ١٩٨٦م ، الدار اليمنية للنشر، صنعاء .

ـ الفاسي: تقي الدين محمد بن أحمد المكي (ت ٨٣٢هـ/١٤٢٩م): شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ج١، دار إحياء الكتب العربية، (د . م) ١٩٥٦م.

العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق/ فؤاد سيد، ج١ ، ط٢ ١٩٨٥م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت.

ـ ابن فهد : النجم عمر بن محمد بن محمد (ت ٨٥٥هـ/١٤٥١م): إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق/ فهيم محمد شلتوت ، ج٣ ، مطابع جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية ،(د . ت).

ـ مؤلف مجهول: نور المعارف في نظم وقوانين العصر المظفري الوارف، تحقيق/ محمد عبدالرحيم جازم ج١، المركز الفرنسي للدراسات الاجتماعية والآثار، صنعاء ٢٠٠٨م

ـ الوصابي: عبدالرحمن بن محمد الحبيشي (ت ٧٨٢هـ/١٣٨٠م): تاريخ وصاب المسمى " الاعتبار في التواريخ والآثار"، تحقيق/ عبدالله محمد الحبشي، ط١ ١٩٧٨م، مكتبة الإرشاد، صنعاء.

ثانياً : المراجع

ـ الباشا: حسن(الدكتور): موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية ، مجلد١، ط١ ١٩٩٩م ، أوراق شرقية، بيروت.

ـ بعكر طيب : عبد الرحمن الحضرمي : نظرات في التاريخ العام لليمن، ط١ ٢٠٠٢م، مركز عباد للدراسات؛ عالم الكتب اليمنية للطباعة والنشر، صنعاء.

ـ الحجري: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، ج٢، تح/ إسماعيل بن علي الأكوع ، ط٣ ٢٠٠٤م، مكتبة الإرشاد ، صنعاء.

ـ الحداد : محمد حمزة إسماعيل (الدكتور) : الاسبلة في العمارة الإسلامية بمكة المكرمة والمدينة المنورة، ط١ ٢٠٠٤م، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة.

ـ الخطيب : مصطفى عبدالكريم : معجم المصطلحات والألقاب التاريخية ، ط١ ١٩٩٦م ، موسسة الرسالة ، بيروت .

ـ الفران : علي بن محمد بن علي : أثر الوقف والمبرات في التكافل الاجتماعي، مؤسسة السعيد للعلوم والثقافة ، تعز ٢٠٠٩م.

ـ الفقيه : صالح أحمد : مساجد مدينة زبيد حتى نهاية العصر الأيوبي ، " رسالة ماجستير غير منشوره " قسم الآثار ، كلية الآداب ، جامعة صنعاء ، صنعاء ٢٠١١م.

ـ لقمان: حمزة علي: معارك حاسمة من تاريخ اليمن، ط١ ١٩٧٨م، مركز الدراسات اليمنية، صنعاء.

ـ المجاهد: محمد محمد : مدينة تعز غصن نضير في دوحة التاريخ العربي، ط١ ١٩٩٧م ، المعمل الفني ، تعز.

ـ محمد زكريا : مساجد اليمن نشأتها تطورها خصائصها، ط١ ١٩٩٨م، رسوم/ محمد الشميري، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، الجمهورية اليمنية.

ـ المقحفي : إبراهيم معجم البلدان والقبائل اليمنية ، ج٢، ط٥ ٢٠١١م ، مكتبة الجيل الجديد.

ثالثاً : البحوث والدوريات

ـ سميث ركس : معلومات عن تاريخ ثعبات وكتاباتها ومسكوكاتها؛ ترجمة/ نهى صادق، " بحث منشور في كتاب دراسات في تاريخ اليمن الإسلامي " ، المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية ، صنعاء ٢٠٠٢م.

ـ العراشي : عبدالحكيم محمد ثابت: التجربة التاريخية لنظام الوقفية في اليمن في عصر الدولة الرسولية (٦٢٦ ـ ٨٥٨هـ/١٢٢٨ ـ ١٤٥٤م) من وحي الوقفية الغسانية، بحث في منشور في مجلة الدراسات الاجتماعية ،المجلد ٢٠، العدد(٤١) ٣٠ سبتمبر/ أيلول، جامعة العلوم والتكنلوجيا، صنعاء.

ـ العروسي : محمد علي قاسم (الدكتور): مدارس الأميرات الرسوليات في اليمن (ق ٧ ـ ٩هـ)، " بحث منشور في حوليات العفيف الثقافية "، العدد (٥)، مؤسسة العفيف الثقافية ، صنعاء ٢٠٠٥م.